بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 28/10/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (26)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير بعض آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 79 – 82].

سبق أيها الإخوة في الدروس الماضية كيف رافق سيدُنا موسى سيدَنا الخضر في رحلته، وكيف طلب سيدنا موسى أن يتبع سيدَنا الخضر ليتعلم منه، فانطلقا ومرت بهم القصص الثلاث من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار، وفي كل مرة كان سيدنا موسى على فعله واليوم سيعلل لنا سيدنا الخضر أفعاله الغير منطقية.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، وفي إحدى القراءات التفسيرية (**يأخذ كل سفينة صالحة غصباً**).

هذه السفينة تشارك بشرائها مجموعة من العمال البسطاء فكانوا يعملون بها في إيصال الناس للضفة الأخرى بأجرة غير أن الخضر علم أنه كان بطريقهم ملك يأخذ كل سفينة حسنة كاملة غصباً فأراد أن يعيبها؛ لأجل أن لا يأخذها الملك.

وفي نهاية الآيات يبين لنا سيدنا الخضر أن هذا الكلام ليس من عنده بل هو إلهام من عند الله عز وجل.

ولهذه القصة فوائد:

1-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَيْنُ حَقٌّ» [البخاري ومسلم].

وجاء في الأثر: **(العين تدخل الرجل القبر ، والجمل القدر)** [ابن عدي وأبو نعيم في الحلية].

ليس من الحكمة أن تُظهِرَ على نفسك كل ما أكرمك الله تعالى به خاصة أمام أقوام ربما تجد فيهم من لا يحبونك أو تجدهم ممن تضيق أعينهم على ما أكرمك الله تعالى به.

فهذا سيدنا الخضر عليه السلام عندما رأى السفينة صالحة وكاملة جعل فيها عيباً، وهو أمر مفيد حتى في تعاملاتنا اليومية.

أحياناً ينعم الله على أحدنا بالرزق أو الأولاد أو المال أو العافية فمن فرحته يريد أن يركب مركبة فارهة جداً، ويرتدي أفضل الثياب، ويجلس في أفضل الأمكنة، وكلما جلس بمكان حَدَّثَ الناس بذكاء أولاده ونجابة زوجته، وبصحته وعافيته... فهذا الكلام وخاصة أمام الناس عامة قد يسمعه إنسان عدو، أو ضَيِّق ذات اليد، أو فيه بغضاء وحسد لك فبفعلك ذاك عرضت نفسك لكل هؤلاء، فكن متوسطاً بين الناس ولا تظهر بهذه الرفعة.

ليس من الأدب إذا كان الناس في ضائقة ويكتوون من الألم والجوع أن تحدثهم عن رحلة سياحية أو مال تملكه أو متعة تتمتع بها.

أحياناً ترى أختاً تجلس فتخرج أفخم جوال فتضعه على الطاولة؛ لتري أصدقاءَها ما تملك، فلترحم هذه من حولها فإن غيرها لا يملك هذا الشيء فتكون قد عرضت أهلها وزوجها ونفسها للحسد.

أحياناً يكرم الله امرأة بولد نجيب وجميل فكلما جاءتها ضيفة تعرض أفضل ما فيه للنساء فتكون قد عرضت نفسها وولدها لشيء قد تتألم منه فيما بعد.

من آتاه الله قوة ومالاً وجمالاً يطلب منه أن يتواضع ويبقى مفتقراً بين يدي الله.

قال لي أحد الإخوة: كان لوالدي متجراً في السوق التجاري في الشام القديمة، ولديه بيت في منطقة المهاجرين، وسيارة في وقت لم يكن في الشام إلا بضع سيارات.

وقد كان أبي مع كبر سنه يخرج -أحياناً- من المتجر إلى سوق الخضار ليشتري الخضار ثم ينطلق إلى المهاجرين مشياً على الأقدام في وقت الظهر، فكنت أتساءل في نفسي لماذا يفعل أبي ذلك مع أنه كان بإمكانه أن يطلب من أجرائه أن يفعلوا هذا الأمر، أو أن يأخذ أجيراً ليحمل معه الأغراض، أو أن يأخذ معه السيارة؟!

فسألت أبي عن هذا العمل وطلبت منه أن يكلفني بذلك أو يكلف أحد الأجراء، فقال لي: يا بني إني في كل مرة أرى نفسي عَلَتْ وتكبرت واعتدَّت أقوم بتأديبها.

إذا رجعنا للحقيقة لَعَلِمْنَا كم نحن فقراء إلى الله عز وجل، أخطر محام في البلد إذا عطلت ذاكرته انتهى أمره، فإذا توقف تروية الدماغ ثلاثة دقائق يُجَنُّ الإنسان، وإذا توقف خمس دقائق يموت.

أحدنا قد يحتاج إلى طفل صغير ليقدم له كأساً ماء.

قال لي أحد الأساتذة: إنني في كل سنة أشترك مع طلابي في ذبح شاة لنصنع بها لحماً بالعجين، ثم نذهب إلى مشفى الأمراض العقلية ونطلب من إدارة المشفى أن نقدم الطعام للمرضى بأنفسنا، فندخل بالطعام ونقدمه للمرضى الموجودين ونبقى متأثرين من هذا المنظر لأكثر من شهرين؛ لأننا نرى المهندس الفلاني، والدكتور الفلاني، ومدير الدائرة، والضابط الفلاني والغني...

نحن من غير الله لا شيء، فإذا رأيت في نفسك عُجباً أو اعتداداً أو شموخاً فاذهب بزيارة لمشفى الأمراض العقلية.

للوقاية من العين:

1- الاستعانة في قضاء حوائجك بالكتمان، فلا تتكلم عن كل ما لديك وما معك.

2- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **وَ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ **وَ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))** [البخاري].

فمن الممكن لك أن تقرأ لنفسك وليس من الضروري أن يقرأ لك أحد.

3- من أصيب بحسد أو أذى فليحافظ على طهارة بيته وليقرأ كل ثلاثة أيام سورة البقرة في البيت.

عَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ [مسلم].

﴿ وَرَاءَهُمْ ﴾ .

في اللغة مجموعة من الكلمات اسمها الأضداد، أي كلمة واحدة تدل على المعنى وضده ويدلك على معناها سياق الكلام، ككلمة ريان: فهي تدل على المرتوي وعلى العطشان.

وكلمة وراءهم من هذه الكلمات وتعني هنا: أمامهم.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ .

قال المفسرون: هذا الولد كان كافراً وله أبوان مؤمنان فطلب الله من سيدنا الخضر قتل هذا الولد خشية من أن يتعب الوالدين من كفره والناس من أذاه وظلمه.

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ .

زَكَاةً: خيراً ديناً وصلاحاً.

رُحْمًا: أوصل للرحم.

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ .

لو أن الجدار سقط لرأى أهل القرية الكنز وأخذوه فألهم الله سيدنا الخضر أن يبني هذا الجدار من أجل هذا الكنز.

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ .

قال المفسرون: ببركة الأب الصالح حما الله الأبناء وأولاد الأبناء.

قال بعضهم: هذا الأب كان الأب السابع فبحسنة الجد السابع حمى الله الذرية لسبعة أجيال.

وهنا يوجد نقطة مهمة للشباب والفتيات الغير متزوجين فنحن في الإسلام مسألة الزواج ليست عبارة عن شهوات تلقى أو نزوات تثار أو إعجابات توضع على صفحات التواصل

الاجتماعي، أو جمال فتان ومبسم أخاذ وقَدٌّ مياس... فالأمر خطير جداً، بل لعل أهم وأخطر اختيار في حياتك هو اختيار الزوج والزوجة، فالجيل السابع من أولادك سيتأثرون بزوجك.

هناك من يضخ في العقول الباطنة لدينا أن الأمر هو الحب فقط، فإذا أحببتها فقد ملكت كل شيء، فلا يغرنكَ امرأة تسير في الطريق ولا يغرنكِ شاب يخدعك ببعض الكلام لتكوني زوجة له.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ**» [ابن ماجه].

من أعرافنا وعاداتنا في الشام أن لا يتقارب الزوجان من بعضهما فقط فيكونا عائلة واحدة بل عادتنا أن تتقارب عائلة الشاب كلها مع عائلة الفتاة، فإياك أن تختار بنتاً إلا إذا كان كل عائلتك موافقة عليها، وكذلك بالنسبة للفتاة.

الحب شرعاً لا يؤاخذ الإنسان عليه؛ لأنه ناحية غير إرادية في الإنسان، لكن الحساب ماذا فعلت بعد أن أحببت أو كرهت فالحساب على التصرفات، وليجنبنا الإسلام من هذا الأمر مَنَعَنَا من النظر والمس وعدم الخضوع بالقول؛ لئلا تعلق القلوب فيما لا يرضي الله، فأغلق الإسلام هذه النوافذ إلى حين الزواج فتحب زوجتك ما شئت.

أتاني أخ صالحٌ وقد أخطأ مع صلاحه بأن جعل جلسات كلام جادة مع فتاة غريبة عنه، ثم تحولت هذه الجلسات الجادة إلى استحسان للكلام، ثم استظراف، ثم إعجاب، ثم محبة وقابلته بنفس المشاعر.

فلما أرادا الزواج لئلا يسلكا طريق الحرام أتاني ليخبرني بما جرى فسألته عن وضعها ودراستها، فقال لي: والدها متوفى ولديها ستة أخوات كلهن مطلقات، فمن دون أن يكمل كلامه قلت له: لا ترجع إليها أبداً؛ فهناك احتمال كبير يخبرك أنها ستكون مثلهن، فلم يستجب إلي وتزوجها، وبعد سنة وشهرين طلق زوجته ولديه بنت ولو أنه لم يطلق لكنت في غرابة من أمري.

أحد شروط الزوج والزوجة النسب فيجب أن تكون زوجتك نسيبة تنتمي إلى أسرة تحمل علاقات صحيحة فيما بينهم؛ لأن هذه البنت التي نشأت في هذا الجو ستنقل هذا النموذج إلى بيتها الجديد وكذلك الزوج.

لا بد لكل منا أن يخضع لدورة تأهيلية للحياة الزوجية وفي خلال الدورة يوجد محاضرة تحت عنوان اختيار الزوج واختيار الزوجة وفي كل منهما عشر صفات للاختيار.

من الممكن أن تكون ابنة صالحة تنشأ في أسرة ليست على مستوى من الصلاح والعكس صحيح لكن ذلك استثنائي وقليل وكذلك بالنسبة للشاب أيضاً فالعادة أنها ستتأثر بأهلها.

أحد الإخوة كان يدرس في كلية الأدب الانكليزي أتاني ليقول لي: تأتيني البنات لأشرح لهنَّ الدروس وقد تكلمت مع بعضهن حتى وضعن الحجاب فهل لي أن أكمل طريق الدعوة مع النساء؟ فنصحته للابتعاد عن هذا الباب فلم يزل به حتى فقدناه لفترة طويلة ثم عاد.

في هذه القصص الثلاث لفتة نظر فسيدنا الخضر عليه السلام فعل الأمور الثلاثة وقال عنهم وما فعلته عن أمري لكنه **قال عن السفينة:** ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ .

وقال عن قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ .

وقال عن الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ .

قال أهل التربية الروحية: لما كان الأمر ظاهره الضر الخالص نسب العيب إلى نفسه، فقال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولم يقل فأراد ربك؛ أدباً مع حضرة الله.

ولما كان الأمر فيه خير خالص قال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ .

ولما كان الأمر فيه خليط بين المصلحة والمنفعة قال: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ .

وهذا كله من أدب العبد مع ربه وفي مثل ذلك أشباه كثيرة في القرآن الكريم منها: كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام في تعريف قومه برب العالمين فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 78-80]، مع أن المتوقع من سياق الكلام أن يقول عليه السلام (وإذا أمرضني فهو يشفين) لكنه نسب المرض إلى نفسه أدباً مع حضرة الله، مع أن المرض هو من رب العالمين.

قيل إن الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى: **أوصني، قال: كن بساماً ولا تكن ضحاكاً، ودع اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران** [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.